من إخلاص السلف الصالح في الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أما بعد : فهذه نماذج من إخلاص السلف في الجهاد وإرادتهم به وجه الله وكراهيتهم للشهرة والمعرفة في قتالهم للكفرة أحببت أن أذكر بها نفسي وإخواني في الله لنقتدي بهم في أقوالنا وأعمالنا وقبل ذكر بعض ما جاء عن السلف في هذا سأذكر بعض الآيات والأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه في الترهيب من الرياء وإرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا.

قال الله تعالى : ((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون أولئك الذين ليس

لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)) وقال تعالى: ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين)) وقال تعالى : ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) وقال تعالى : ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)) .

قال ابن القيم في مدارج السالكين : (وهي الأعمال التي كانت على غير السنة أو أريد بها غير وجه الله) انتهى والآيات في هذا كثيرة جدا وأما الأحاديث فكثيرة جدا أيضا فمنها :

حديث أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله عن الرجل يقاتل حسبة ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ قال : ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)) متفق عليه . وحديث الوليد بن أبي الوليد أن عقبة بن

مسلم حدثه أن شفيا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال : من هذا قالوا : أبوهريرة قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له : أسألك بحق وحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله وعقلته وعلمته فقال أبوهريرة : أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ثم نشغ أبوهريرة نشغة فمكثنا قليلا ثم أفاق فقال : لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبوهريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح عن وجهه فقال : أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أيوهريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه فأسندته طويلا ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ((إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله عزوجل لقاريء القرآن : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال : بلى يارب قال : فما عملت فيما علمت قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله عزوجل له : كذبت وتقول الملائكة : كذبت ويقول الله تبارك وتعالى : بل أردت أن يقال فلان قاريء وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله عزوجل : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال : بلى يارب قال : فما عملت فيما آتيتك قال : كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له : كذبت وتقول الملائكة : كذبت ويقول الله تبارك وتعالى : بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له

: في ماذا قتلت فيقول : أي رب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله : بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك)) ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال : ((يا أباهريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)) قال الوليد وأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية رضي الله عنه فأخبره بهذا قال : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافا لمعاوية قال : فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة فقال معاوية : قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك وقلنا قد جاء هذا الرجل بشر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال : صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذي

ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)) رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني وأصله في صحيح مسلم . ومعنى نشغ نشغة أي : شهق وغشي عليه .

وحديث أبي أمامة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله :((لا شيء)) ثم قال رسول الله : ((إن الله لا يقبل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه)) رواه النسائي وحسنه الألباني .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا . وأما ما جاء عن بعض السلف فكثير أيضا لكنني سأذكر بعضها .

فعن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى الأشعري قال : (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت

أظفاري وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا) وحدث أبوموسى بهذا ثم كره ذاك قال : (ما كنت أصنع بأن أذكره) كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه . متفق عليه.

وعن ابن بريدة عن أبيه قال : (شهدت خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رئي مكاني وعلي ثوب أحمر فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبا أعظم علي منه) - أي الشهرة - رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل والروياني في مسنده وابن الجوزي في تلبيس إبليس وهو حسن.

قال الذهبي في السير معلقا على قول بريدة : قلت بلى جهال زماننا يعدون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد وبكل حال فالأعمال بالنيات ولعل بريدة رضي الله عنه

بإزرائه على نفسه يصير له عمله ذلك طاعة وجهاد !

وكذلك يقع في العمل الصالح ربما افتخر به الغر ، ونوه به ، فيتحول إلى ديوان الرياء قال الله تعالى : ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)) انتهى.

وقال ابن الأثير في الكامل (١/١١) : (.. وذكر أشياخ من أهل أفريقية أن ابنة جرجير لما قتل أبوها تنازع الناس في قتله وهي ناظرة إليهم فقالت : قد رأيت الذي أدرك أبي فقتله فقال لها الأمير ابن أبي سرح : هل تعرفينه فقالت : إذا رأيته عرفته قال : فمر الناس بين يديها حتى مر عبد الله بن الزبير فقالت : هذا والمسيح قتل أبي فقال له ابن أبي سرح : لم كتمتنا قتلك إياه ؟ فقال عبد الله : علمه الذي قتلته من أجله فقال الأمير : إذا والله أنفلك ابنته فنفله ابن أبي السرح ابنة الملك جرجير فيقال : إنه اتخذها أم ولد . وذكر هذه القصة غير واحد لكن من غير سند.

وقال أبوعمرو الصفار : (حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا وأصابهم فيه جهد عظيم فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد فنادى إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير فقال له أنت صاحب النقب ؟ قال أنا أخبركم عنه فأتى مسلمة فأخبره عنه فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا ألا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه ممن هو قال : فذاك له قال : أنا هو فغاب بعد ذلك فلم ير فكان مسلمة لايصلي بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب) . رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار والدينوري في المجالسة وابن عساكر في تاريخه.

وقال عبدة بن سليمان المروزي كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم إليه الناس فنظرت فإذا هو عبدالله بن المبارك وإذا هو يكتم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو فقال : وأنت يا أباعمرو ممن يشنع علينا) رواه الخطيب في تاريخ بغداد وسنده صحيح .

قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس معلقا على القصة : (فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه) انتهى.

وقال عبد الله بن سنان : كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس فصاح الناس النفير النفير فخرج ابن

المبارك وخرج الناس فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رجل من الروم يطلب البراز فخرج إليه مسلم فشد العلج على المسلمين فقتل المسلم حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة لا يخرج إليه أحد فالتفت إلي ابن المبارك فقال : يا عبدالله إن حدث بي حادث الموت فافعل كذا وحرك دابته وخرج فعالج معه ساعة فقتل العلج ثم طلب المبارزة فخرج إليه علج آخر فقتله حتى قتل ستة من العلوج مبارزة ثم طلب البراز فكأنهم كاعوا عنه فضرب دابته ونظر بين الصفين وغاب فلم أشعر بشيء إذا أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان فقال لي يا عبد الله : لئن حدثت بهذا أحدا وأنا حي - فذكر كلمة - فما حدثت به أحدا وهو حي) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/١٦٦).

رحم الله السلف ورضي الله عنهم فأين نحن منهم .

لاتعرضن بذكرنا مع ذكرهم

.....ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة واجعلها خالصة لوجهك الكريم ولاتجعل لأحد فيها شيئا أبدا إنك ولي ذلك والقادر عليه وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه :

صالح بن عبدالله البكري

في ٢٥ذوالحجة ١٤٣٦ من الهجرة